المورد

مجلة تراثية نصف سنوية محكمة

- المجلد العشرون - العدد الاول - ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م

WWW.ATTAWEEL.COM

معجم المعاجم

عرض وتقديم
أحمد متفكر
مراكش /المغرب

منذ القرن الرابع عرفت المكتبة العربية نموذجا جديدا في عالم التاليف، ذلك هو علم الفهرسة الذي ابتدا بابن النديم، وسلك مسلكه من جاء بعده من المؤلفين قصد التعريف بالكتب، سواء منها الخاصة او العامة، وتهيئها للقارئ العربي في مسلك جديد يجعله يلم بعضا او كلاً مما تركه الاسلاف ومن تعاقب بعدهم.

واذا كانت فهرسة المعاجم العربية، ومحاولة حصرها امرا بالغ الاهمية للباحثين، فان معرفة هذه المعاجم ومكان وجودها ـ مخطوطا كان او مطبوعا ـ اصبح من الواجبات على المهتمين بهذا النوع من الثقافة العربية، فهو مجال بكر لم تطرقه يد البحث بشكل أوسع وبصورة أشمل رغم صدور بعض الفهارس لمكتبات عامة او خزانات خاصة، الى جانب اهتمامات بعض المجامع اللغوية او المجلات التراثية.

وبتعاقب الاجيال تترسخ فكرة المعجم في ذاكرة الباحثين والدارسين العرب، فيحظى المعجم العربي بكثير من الدراسات والبحوث من قبل العلماء العرب والمستشرقين الذين حاولوا جرد ماامكنهم الوقوف عليه من المعاجم. واعتنت المطبعة الحديثة باصدار بعض هذه الدراسات والبحوث

واعتقد ان كتاب الاستاذ احمد الشرقاوي اقبال ـ معجم المعاجم ـ يعتبر أشمل دراسة تعرفها المكتبة العربية حتى هذه الساعة إذ عرف ب ١٤٠٧ معجم عربي تراثي مطبوعا كان أم مخطوطا. والكتاب صدر عن (دار الغرب الاسلامي) سنة ١٩٨٧. اما مؤلفه فهو من خيرة من انجبت المدينة، ومن المع المهتمين بالجانب اللغوي في الساحة المغربية. تلقى تعليمه بالكلية اليوسفية بمدينة مراكش على شيوخ العلم، مارس التعليم حتى سنة ١٩٨٨ حيث احيل على التقاعد. له عدة مؤلفات: لغوية وادبية تربو على الاربعين كتابا بين مطبوع ومخطوط.

يشتمل الكتاب على:

١) مقدمة.

٢) قسم الكتاب الى تسع مجموعات.

استهل المؤلف مقدمة كتابه بقوله: (رزق المسلمون الحظوة في كثرة التاليف، وأوتوا في ذلك من البحث مالم تؤته امة من أمم الحضارات القديمة، ويشهد على ذلك كتبهم المصنفة في ضروب العلم وانواع العرفان، وفي ضمن ذلك مكتبتهم اللغوية التي يتبهر الواقف عليها مما تحويه من التاليف كثرة اعداد واختلاف اشكال). ثم يسترسل في التعريف ـ بأوجز العبارات ـ باهمية المعجم العربي في الحضارة الاسلامية، ومالحقه من نكوص ايام تردي العرب. (وقد اتفق منذ العقود الاولى من القرن الميلادي الماضي أن ابتدرت طائفة من المستشرقين العمل في المعجم العربي كشفا وتحقيقا، ونشرا، ودراسة، كما يشمل ذلك فيمن تسميهم وبعض اعمالهم مصنفين على الجنسيات). فيذكر من الانجليز: ٥، ومن الالمان ٨، ومن النمسا ٤ ، ومن ايطاليا ٤، ومن امريكا ٣ ، ومن هولاندا ٢، ومن فرنسا ٤، ومن سويسرة ٢، ومن الاسبان ١، ومن روسيا ١.

ثم يقول: (وجرى على اثارهم في ذلك طائفة من الشرقيين نسميهم وبعض اعمالهم). فيذكر:

الشيخ ابو الوفاء نصر بن نضر.
الاب لويس شيخو اليسوعي
محمد بن العربي ابي شنب
حسن حسني عبد الوهاب

ويذكر من المحققين جملة من الاعلام كانت لهم اليد الطولى في هذا الميدان، الى ان يقول: (على ان اول ماكتب حول المعجم العربي نشأة وتطوراً كتاب الدكتور حسين نصار الذي سماه (المعجم العربي نشأته وتطوره)... كما راى القارئ فيما نوهت به من الاعمال السابقة الا واحدة خام العاملون عنها وتلكأوا دونها وهي عمل فهرسة تعرف به منسوبا ومخطوطا ومطبوعا على جهة الاستيعاب مع مسيس الحاجة الى ذلك وشدة الرغبة فيه، وكبير المنفعة العائدة على الدارسين بعامة، والمعنيين منهم بتراث العرب اللغوي بخاصة.

ومنذ ربع قرن مضى تعلق هي بالمعجم العربي، فانشغلت فيه احصاء ودراسة سولت النفس معهما ان عرف بالمعاجم العربية منسوبة ومخطوطة ومطبوعة فطاوعتها في التسويل فكانت هذه الفهرسة) . والطريقة التي سلكها في تقسيم كتابه هذا تنحصر في تسع مجموعات:

١) مجموعة اللغات: وقد احصى فيها ٢٩٧ كتابا
٢) مجموعة الموضوعات: ٢٤٥ كتابا
٣) مجموعة القلب والابدال وماالشتبه في كيفية نطقه أو صورة خطه. وعدة مافيها من الكتب ٧٦ كتابا
٤) مجموعة الاشتقاق: وفيها ٣٥ كتابا
٥) مجموعة المعاجم التي بنيت على الحروف وعدة مافيها ١٥٣
٦) مجموعة الابنية: وعدة مافيها ١٣٩ كتابا
٧) مجموعة المعاني: ١٢٥ كتابا
٨) مجموعة الاوشاب: ٩٧ كتابا
٩) مجموعة الطرائف: ٤٠ كتابا

وبهذا يكون مجموع مااستوعبه هذا الكتاب هو ١٤٠٧.

ويختم مقدمته بمسرد للمصادر التي اعتمدها في عمله هذا. مع تنبيه للقارئ يقول فيه: (ثم انهي الى علم القارئ اني قصرت هذه الفهرسة على المعاجم التراثية دون سواها مما مسته الحداثة بأثر قليل أو كثير).

بعد هذه المقدمة المستوعبة، نكون مضطرين الى تعريف القارئ باهم ابواب الكتاب.المجموعة الاولى: مجموعة اللغات: هذه المجموعة بقوله: (بدات المعجمية العربية انطلاقاً من تخريب القرآن وكان ذلك من وقت باكر يعود الى عهد الخلفاء الراشدين وتنبئ بتلك البداية المبكرة اخبار موثوقة منها مارواه السيوطي في (الدر المنثور ج، ص ٢١٧) فقال: اخراج ابو عبيد في فضائله، وعبيد بن حميد عن ابراهيم التيمي قال: سئل ابو بكر الصديق رضى الله عنه عن قوله تعالى : (وَأَبًّا) فقال: اي سماء تظلني؟ واي ارض تقلني؟ اذا قلت في كتاب الله ما لااعلم). ثم استرسل في اعطاء نماذج من بعض الصحابة ثم يتخلص الى التعريف بغريب الكلام عامة وغريب القرآن خاصة. لينتهي به المطاف الى سرد قائمة باسماء الكتب الى اعتنت بهذا الموضوع وقد عالج في هذه المجموعة:

غريب القرآن ـ لغات القرآن ـ الوجوه والنظائر في القرآن ـ معرب القرآن ـ غريب الحديث، كتب المصطلحات، كتب اللهجات، كتب النوادر كتب المعربات، كتب اللحن والتصويب. (٢٩٧)

واول كتاب يتصدر هذه القائمة هو:

مسائل نافع بن الازرق: (في غريب القرآن):

لابي العباس عبد الله بن عباس بن عبد المطلب الملقب بحبر العرب وبترجمان القرآن، المتوفى سنة ٦٨هـ.

هو اجوبته على اسئلة في الفاظ من غريب القرآن افتحنه بها نافع بن الازرق الخارجي المتوفى سنة ٦٥ هـ.

توجد مخطوطة بالظاهرية، وبمكتبة طلعت بدار الكتب المصرية وبرلين. حققها الدكتور ابراهيم السامرائي، وطبع تحقيقه ببغداد سنة ١٩٦٩م وأخر كتاب هذه المجموعة هو:

المختار من ابراد اللأ: لمؤلف مجهول:

نشره المستشرق الفرنسي جورج كولان بالمجلد ١٢ من مجلة بعيسبيريس الصادر سنة ١٩٣١م، ثم اعاد نشرة الدكتور ابراهيم السامرائي في كتابه (نصوص ودراسات عربية وافريقية) ونسبة غلطا لابن خالنة.

المجموعة الثانية: مجموعة الموضوعات: ندرج تحت هذا الموضوع العناوين التالية:

معاجم الحيوان: فيها: كتب خلق الانسان، كتب خلق الفرس، كتب الابل، كتب الوحوش، كتب الحشرات، كتب الطير

(مضافا اليها مايسمى بكتب الفرق) كتب النبات، كتب الانواء وماإليها، كتب الامكنة، في عدة الحرب، في البيوت والرحال، في البئر، في اللبن والتمر، ماعنون باسم الصفات، ماعنون باسم الغريب، ماعنون باسم الالفاظ... وحاصل ماتجمع اليه هذا الباب ٣٤٥ كتابا..

قدم المؤلف لكل معجم من المعاجم المندرجة تحت هذه المجموعة بمقدمة تعريفية يتخلص الى التعريف بكل معجم معجم على حدة.

المجموعة الثالثة: مجموعة القلب والابدال

، وماشتبه في كيفية نطقه او صورة خطه. وعدة مافيها من الكتب ٧٦ كتابا.

يقول المؤلف في مستهل هذه المجموعة (فهرست تحت هذه الترجمة تلك المعاجم التي يقوم الشأن فيها على اصوات الحروف ومايعرض لها من قلب وابدال وتعاقب واعلال او اشتباه في كيفية النطق او صورة الخط ورتبتها تقديما وتاخيرا على مارأيتني في ذلك من التصنيف الاتي: في الابدال ـ في الهمز، ـ في الضاد والظاء ـ في الاحرف السبعة: الضاد والظاء، والدال والذال، والصاد والسين والزاي، في السين والشين ـ في الدال والذال).

المجموعة الرابعة: مجموعة الاشتقاق، وفيها ٣٥ كتابا.

افتتح هذه المجموعة بمقدمة تعريفية لمعنى الاشتقاق، مدعمة بامثلة توضيحية، يقول: (يراد بالاشتقاق هذا ارجاع مفردات كل مادة الى معنى اوعدة معان تشترك فيهاتلك المفردات كما يتمثل ذلك فيما أورده الجلال السيوطي في مزهره ج ١ ص ٣٥١ ـ ٣٥٢، نقلا عن الزجاج من كتاب له في الاشتقاق فقال:

(قولهم: شجرت فلانا بالرمح تاويله: جعلته فيها كالغصن في الشجرة، وقولهم للحلقوم ومايتصل به شَجِر لانه مع مايتصل به كاغصان الشجرة، وتشاجر القوم، انما تاويله اختلفوا كاختلاف اعضاء الشجرة، وكل ماتفرع من هذا الباب فاصله الشجـ).

واول مايذكره من معاجم الاشتقاق هو:

اشتقاق اسماء البلدان: لابي المنذر هشام بن محمد بن السائب الكلبي المتوفى سنة ٢٠٤ هـ. وهو من الكتب التي استدركها على رمضان عبد التواب، مع جملة اخرى مثبة في محلها. وختم هذه المجموعة بكتاب: الاتباع في الاتباع لجلال الدين بن الفضل عبد الرحمن بن ابي بكر السيوطي المتوفى سنة ٩١١هـ

المجموعة الخامسة: مجموعة المعاجم التي بنيت على الحروف: وهي تضم ثلاثة اشكال:

ا) مابني منها على المخارج

ب) مابني على التقفية بالحرف الاخير

ج)مابني على النظام الالفبائي.

وعدة مافيها ١٥٢ كتابا

لقد توسع المؤلف في توضيح وشرح مايلحق الكلمة من قلب، في كل بناء على الصورة الممكنة عودا على بدء، وتحويلا بعد تحويل، الى ان يلم بجميع حالات التقاليب الممكنة. وقد دعم هذا الفصل ـ الى جانب عرضه للكتب التي تهم هذا الباب ـ بكتب ألّفت على العين، مثلا او اختصارات اوفوائد تكميلات، او في الانتقاد والاستدارك....الخ

المجموعة السادسة: مجموعة الابنية: هي تضم المعاجم التي اقامها اصحابها على الابنية ثم حشوها بالكلم المتزنة عليها احرفا وحركات. وعدة مافيها ١٢٩ كتابا. ويندرج تحت هذا الباب: كتب الابنية ـ معاجم الافعال ـ معاجم المذكر والمؤنث ـ معاجم المقصور والممدود.

المجموعة السابعة: مجموعة المعاني: وهي تضم معاجم الترادف ـ معاجم الاشتراك ـ معاجم الاضداد ـ معاجم المثلثات. وقد مهد لكل موضوع من هذه الموضوعات بتعريف مبسط يقرب الصورة للقارئ. وعدة مافيها ١٢٥ كتابا.

المجموعة الثامنة: مجموعة الاوشاب: هي حصيلة ماتجمع لديه من كتب لم يجزم وضعها ضمن المجموعات السابقة لاشتباه الأمر عليه اولجهله بفحواها. وعدة ما فيها ٩٧ كتابا.

المجموعة التاسعة: مجموعة الطرائف: يقول: (اودعت في هذه المجموعة من كتب اللغة مـاالغرب مؤلفه في وضعه او موضوعه مما يستطرفه القارئ ويستريح اليه بعد تلك المسيرة الطويلة مع المعاجم المصنفة في تراتيبها السابقة. ومن المعاجم التي ذكر في هذا السياق:

ـ معاجم المداخل والمشجر والمسلسل

ـ في الملاحن وفتيا فقيه العرب

ـ ماسمي بالاعداد من التوليفات اللغوية.

ـ ماوضع في لفظ واحد.

ولابأس ان نورد بعض الامثلة لهذه المعاجم:

معاجم المداخل والمشجر والمسلسل: يقول: من طريف التصنيف المعجمي تلك المعاجم التي سميت بالمداخل مرة، وبالمشجر مرة، وبالمسلسل مرة، وكان التدبير في تصنيفها ان يبدأ الواحد من ابوابها بكلمة اولى تكون مفتاحا ثم يفسر معناها بكلمة ثانية ثم يفسر معنى الثانية بثالثة، ثم يفسر معنى الثالثة برابعة وهلم جرا الى ان يغلق الباب بكلمة آخرة تكون خاتمة له، ثم يستانف الامر في الباب الذي يليه على ذلك النمط الى آخر الابواب في الكتاب.

والنموذج الموضح لذلك ان تبتدئ العمل فيه فتقول: الامل: الرجاء، والرجاء: الخوف: الفزع، والفزع: الاغاثة، النصرة، والنصرة: الاعانة، والاعانة: الرفد، والرفد: الاعطاء، والاعطاء: الانقياد، والانقياد: الطاعة والطاعة: الامتثال.

في الملاحن وفيما يلقيه العرب: (وينتظم في سلك الطرائف تلك التوليفات التي أودعها اصحابها تلك الكلم المحتملة للمعاني المختلفة، فيورى فيها بمعنى عن معنى في يمين محتالة تخلصا من موقف حرج بين يدي جبار متسلط تخشى بوادره، او بغايا بها في مسائل فقهية تانيسا باللغة وترغيبا في حفظ غريبها. يحلف الحالف فيقول في حلفته: كل امراة تزوجتها فقد طلقتها فلا يكون قوله اطلاقا ان عنى انه جعلها في الطّلق وهو قيد من جلود). وقد استشهد باسئلة كثيرة لتوضيح هذا الباب.

ويختم المؤلف كتابه بثلاثة فهارس:

١) الاولى: خاصة بالمعاجم

٢) الثانية: خاصة باعلام المؤلفين

٣) فهرس المجهولين من المؤلفين

وبهذا العمل القيم يكون الاستاذ احمد الشرقاوي اقبال قد اضاف الى صرح الثقافة العربية عامة، والى المكتبة المعجمية خاصة، لبنة مباركة، قضى فيها ربع قرن باحثا ومنقبا عن المعجم في بطون الكتب، باعثاً لها من رقدتها، كاشفا عن هويتها شارحا لمضامينها، ومعرفا بها بأوجز العبارات، وادق المعاني، متسلحا بثقافته العربية المتينة وغيرته على لغة الضاد. ولقد كان الاستاذ الشرقاوي يطمح لان يعرف بأكثر مما ذكر علما منه بان المكتبة العربية تزخر بالكثير الكثير مما انتجه العقل العربي في هذا الميدان. ولقد كان يحدد في بداية العمل انه سيحصي آلاف، لكن الحصر انتهى به الى المقدار الذي وقف عنده. لكن الكوارث والازمات الحربية التي مرت على المكتبات العربية عبر العصور عرضها للتلف والضياع. وربما السنوات القادمة ستطلع علينا بنماذج جديدة تحتويها مجلدات، وماذلك على الله بعزيز.

• • • • • •